الفصل الرابع والعشرون
اوجه ابراهيم في تقاليد ثلاثة

ظلّ وجه ابراهيم المشرق حيّاً في ذاكرة الأجيال اللاحقة ، فتناقل الأبناء والأحفاد الأخبار التاريخية المتعلقة بحياته واحتفظوا بميراث الماضي الثمين . ان سيرة حياة ابراهيم التي نقرأها في الفصول ١٢ – ٢٥ من سفر التكوين هي ثمرة تاريخ تدويني طويل بدأ بالأخبار الشفوية التي روت حياة ابراهيم الذي ظهر في التاريخ ولكنّ التقاليد المختلفة اعادت قراءة هذه الأخبار على ضوء المعطيات التاريخية والسياسية والاجتماعية التي كانت تتبدّل بين حقبة زمنية وأخرى .

سنتطرّق في هذه الدراسة الى الحديث عن اوجه ابراهيم في تقاليد ثلاثة ، وسنحاول ان نبيّن السمات الأساسية التي تميّز شخصية ابراهيم وذلك بقراءة بعض المقاطع من سفر التكوين ؛ في مرحلة اولى سنعالج البركة التي منحها الله لإبراهيم والتي نجدها في الفصل ١٢ من سفر التكوين ثم سنتعرّف من خلال الفصل ٢٢ على ابراهيم النبي الذي اختبر مخافة الله واخيراً سنتطرّق في الفصلين ١٥ و ١٧ الى دراسة العهد الذي قطعه الله مع ابراهيم .

اولاً : البركة (تك ١٢ : ١ ـ ٣)

إنّ الموضوع الأساسي الذي يشدّد عليه الكاتب اليهوهي في الفصل ١٢ من سفر التكوين هو البركة التي وعد الله بإعطائها لإبراهيم بعد ان يترك بيت ابيه ويذهب الى ارض كنعان ؛ قال الله لإبراهيم : " انا أجعلك أمة كبيرة وأباركك وأعظّم اسمك وتكون بركة ، وأبارك مباركيك ، وألعن لاعنيك ويتبارك بك جميع عشائر الأرض " (تك ١٢ : ٢ – ٣) ؛ ترد كلمة بركة خمس مرات في هذا المقطع : أباركك ، تكون

بركة ، وابارك ، مباركيك ، ويتبارك . هذه البركة تتجلّى في حياة سعيدة يتنعّم بها ابراهيم ، فتخصب ارضه وتتكاثر قطعانه وتكون له ذرية كالرمال على سيف البحر ويكون اسمه عظيماً .

سنركّز على ميزتين اساسيّتين تمتاز بهما هذه البركة وهما : المجانية والشمولية .

١ – مجانية البركة

ان البركة هي هبة منحها الله لإبراهيم دون ان يصنع هذا الأخير أيّ شيء امام الله ليستحقّ هذه البركة مكافأة على اعماله [١]؛ ان تصرّف الله هو عمل مجاني وحر وغير مشروط وهذه المجانية تتجلّى بوضوح حين يقول كاتب التكوين ان الله لم يعد ابراهيم بالبركة مكافأة على ترك بيته واهله بل بالعكس هذه البركة هي ممنوحة لإبراهيم مسبقاً وهي اساس طاعته . بعبارة أخرى نقول ان الوعد الذي قطعه الله لإبراهيم ليس مشروطاً وهذا الوعد يمنحه الخيرات الوفيرة دون مقابل [٢].

غير انّ هذه البركة التي حظي بها ابراهيم تحدّد طريقة حياته الجديدة التي يجب ان تتميّز عن الحياة السابقة ؛ أضحى ابراهيم ملزَماً ان يشكر الله الذي افاض عليه النعم الوفيرة وهذا الالتزام يتجلّى في تصرّفاته واعماله المرتبطة باحكام الله .

٢ ـ شمولية البركة

لن تقتصر هذه البركة على ابراهيم وحده بل ستصل الى نسله والى كل قبائل الأرض ، وهذا واضح من كلام الله : " يتبارك بك جميع عشائر الأرض " (١٢ : ٣) ؛ يمكننا ان نفهم نهاية آ ٣ بطريقتين مختلفتين :

---

١ – شدّد بولس في رسالته الى اهل روما على التبرير الذي ناله ابراهيم بإيمانه وليس باعماله (روم ٤ : ١ ي) .

٢ – نشير الى ان تك ٢٢ : ١٦ – ١٧ يجعل رباطاً وثيقاً بين طاعة ابراهيم وتحقيق الوعود : يبارك الله ابراهيم لأنه طاع احكامه ؛ راجع :

J.- L. SKA, *Abraham et ses hôtes* , Lessius , Bruxelles , 2001, p 23.

الطريقة الأولى تتضمّن المعنى المجهول (sens passif): " بك قبائل الأرض يكونون مباركين " ؛ نجد هذا المعنى عند ابن سيراخ ٤٤ : ٢١ وفي العهد الجديد خصوصاً في غل ٣ : ٨ ؛ اع ٣ : ٢٥. حسب هذا المعنى المجهول لا يبذل الشعوب اي جهد ليتباركوا بل هم ينالون البركة بشكل تلقائي.

الطريقة الثانية تتضمّن المعنى الفاعل (sens réfléchi): الشعوب يسعون للحصول على البركة التي نالها ابراهيم. هذا المعنى نجده في تك ١٨:١٨؛ ١٤:٢٨. في هذا الإطار نفهم ان ابراهيم ليس مصدر بركة ستمتد الى الوثنيين ولكنه مثال نجاح كامل وكل انسان يتمنى ان يكون سعيداً ومباركاً مثل ابراهيم .

ان تاريخ الآباء[٣] يُظهر فعالية الوعد الذي قطعه الله مع ابراهيم فيجب على كل قبيلة في الأرض ان تتحقّق من البركة الإلهية التي منحها الله لإبراهيم ونسله وبالتالي على هذه القبائل ان تكرّم ذاك الذي اختاره الله وباركه.

ان الإعلان الذي قاله الله لإبراهيم: " بك تتبارك قبائل الأرض " يتضمّن شمولية الخلاص، فالله لا يريد ان يبارك ابراهيم ونسله فقط بل يأمل ان تمتدّ البركة الى جميع قبائل الأرض؛ لقد اختار الله ابراهيم وسلّمه مهمة صعبة فعليه ان يشهد للإله الواحد امام الأمم الأخرى الذين سيلاحظون ان ابراهيم نال البركة من الهه فتتمنى حينئذٍ هذه القبائل ان تتبارك مثلما تبارك ابراهيم.

هذه البركة التي حصل عليها ابراهيم ستصل الى جيرانه، وبالفعل تشفّع ابراهيم من اجل سادوم كي يُبعد عنها الكارثة وحاول ان يُوصل اليهم بركة الله ولكنّ لوط وابنتيه هم الذين استفادوا وحدهم من هذه البركة فاستفاد من خلالهم الموآبيون والعمونيون[٤]

---

(٣) ذُهل ابيمالك من غنى اسحق وحاول ان يقيم معه عهداً (تك ٢٦ : ٢٨) ؛ كذلك تحقّق لابان ان يعقوب يحمل البركة لأن الخيرات فاضت عليه بوجود هذا الأخير في بيته (تك ٣٠ : ٢٧).

(٤) بولس الفغالي ، **المدخل الى الكتاب المقدس** ، (المجموعة الكتابية ، ١ الجزء الثاني) ، المكتبة البولسية ، ١٩٩٥ ، ص ١٩ .

(تك ١٣ : ١ – ١٢) ؛ ولكن بالرغم من ذلك ، فقد أغناه الله وجعله بركة وخلاصاً لابن أخيه لوط فحرّره من الأسر بعد حرب الملوك الأربعة (تك ١٤ : ١ ي) .

هنا نتساءل : كيف تعرّف ابراهيم الى شمولية البركة والخلاص في حين ان هذه الشمولية ظهرت في حقبة زمنية متأخّرة من تاريخ الشعب الإسرائيلي الذي كان يعيش قبلاً في التعصّب والإنغلاق ؟ لا شك ان شمولية الخلاص لم تظهر في الحقبة التاريخية التي عاش فيها ابراهيم ولكنّ الكاتب اليهوهي الذي دوّن هذا النص في القرن العاشر ، شاهد انفتاح مملكة سليمان على بقية الشعوب فجاء الكثيرون من الممالك المجاورة ليسمعوا حكمته (١ مل ٥ : ١٤) . في الحقبة التاريخية التي رافقت تأسيس الملكية في اسرائيل ، يمكننا الحديث عن شمولية الخلاص ، غير ان الكاتب الملهم استعان بالتسبيق التاريخي (rétroactivité)، فاعتبر ان الوعد بشمولية البركة والخلاص أُعطي لإبراهيم حين دعاه الله وقد تحقّق هذا الوعد فعلياً مع جلوس داود وابنه سليمان على كرسي الملك .

ثانياً : المخافة (تك ٢٢)

يشدّد الفصل ٢٢ من سفر التكوين على مخافة[٥] الله التي تميّز بها ابراهيم ؛ هذه المخافة لها ميزتان اساسيّتان : انها تسليم مطلق لإرادة الله وهي مشتركة بين الشعوب .

١ – المخافة تسليم مطلق لمشيئة الله

امتحن الله ابراهيم طالباً منه ان يقدّم له ابنه ذبيحة على جبل موريه (تك ٢٢ : ١) ؛ ان الطلب الإلهي بتقديم اسحق ذبيحة هو امتحان لا يمكن ان نفهم مغزاه ؛ لقد ترك ابراهيم بيت اهله لا ليحصل على ارض بالمقابل بل على الوعد بارض لنسله ومن الواضح ان اقتناء الأرض لم يتحقق أثناء حياة ابراهيم الذي مات وهو يملك بعض القطعان من الماشية ومكان مقبرة لسارة زوجته (تك ٢٣ : ٣ – ١١).

(٥) R. MARTIN-ACHARD, *Actualité d'Abraham* , (Bibliothèque Théologique) Delachaux et Niestlé , Neuchâtel ,1969, p. 80 - 82 .

ها هو ابراهيم يحصل الآن على ولد موعودٍ سابقاً بولادته من الله ولكن عليه ان يقدمه ذبيحة؛ انه امتحان قاسٍ مرّ به ابراهيم! لا يمكن لإبراهيم ان يتنعّم بمشاهدة ابنه فعليه ان يضحّي به وفي الوقت عينه يجب ان يستمرّ في الإيمان كما كانت الحال قبل ميلاد اسحق. في اللحظة التي انطلق فيها الى الجبل لم يعد لوجوده اي معنى لأن الوعد الإلهي يتلاشى بموت اسحق على المذبح ؛ غير ان ابراهيم ينفّذ ما امره به الرب وهو مقتنع ان الله يعرف ما يعمل بالرغم من الظواهر التي تحيّر العقل . هنا نفهم جوابه الملتبس والغامض لإبنه اسحق الذي سأله : اين كبش المحرقة ؛ اجاب ابراهيم ابنه قائلاً : الله يرى له كبشاً للمحرقة (تك ٢٢ : ٧ – ٨). يريد ابراهيم ان ينجّي ابنه وفي الوقت عينه يريد ان يبقى اميناً لله .

انَّ طلبَ الله الى ابراهيم بالتضحية بابنه يتناقض مع الإلتزام بإعطاء ابراهيم نسلاً لا يُحصى من اسحق ومن الواضح ان طلب الله اليوم من إبراهيم يلغي وعد الأمس . إنّ ابراهيم متيقّن ان الله لن ينقض عهده ولكنّه يجهل التفاصيل لذلك سلّم لمشيئة الله . لم يعترض ابراهيم على طلب الله غير المعقول و لم يتردّد في تنفيذ احكام الله ، بل بكّر في الغد وأخذ وحيده وانطلق في مسيرة طويلة الى الجبل . يتعامل ابراهيم مع اله لا يمكن فهم تصرفاته ويطيع اوامره وينفّذها بدقة دون اعتراض وعليه ان يستمرّ في حياة الإيمان بالرغم من كل الصعاب .

هذه هي مخافة الله الحقيقية التي عاشها ابراهيم وقد اشار ملاك الرب الى هذه المخافة بقوله لإبراهيم : " لا تمدّ يدك الى الصبي ولا تفعل به شيئاً فاني الآن عرفت انك تخاف الله فلم تمسك عني ابنك وحيدك " (تك ٢٢ : ١٢) .

يتطابق الكاتب الملهم في تفكيره مع تعاليم انبياء مملكة الشمال الذين كانوا يشدّدون على ضرورة مخافة الله والطاعة لإحكامه وإقامة شعائر العبادة له حتى في اصعب المواقف واشدّها خطورة على مصير الشعب . لن يتخلّى الله عن مختاره وسيتدخّل في اللحظة الأخيرة لينجّي اسحق من الهلاك وهكذا سيفعل مع كل من يعيش مخافة الله على مثال ابراهيم .

يعطي تك ٢٢ درساً ادبياً فيعرض ابراهيم مثالاً لقارئيه : لقد برهن ابراهيم عن تقواه حين خضع بكليته للإرادة الإلهية فاثبت انه يخاف الله باستعداده للتضحية بوحيده. ان

ها هو ابراهيم يحصل الآن على ولد موعودٍ سابقاً بولادته من الله ولكن عليه ان يقدمه ذبيحة؛ انه امتحان قاسٍ مرّ به ابراهيم! لا يمكن لإبراهيم ان يتنعّم بمشاهدة ابنه فعليه ان يضحّي به وفي الوقت عينه يجب ان يستمرّ في الإيمان كما كانت الحال قبل ميلاد اسحق. في اللحظة التي انطلق فيها الى الجبل لم يعد لوجوده اي معنى لأن الوعد الإلهي يتلاشى بموت اسحق على المذبح ؛ غير ان ابراهيم ينفّذ ما امره به الرب وهو مقتنع ان الله يعرف ما يعمل بالرغم من الظواهر التي تحيّر العقل . هنا نفهم جوابه الملتبس والغامض لإبنه اسحق الذي سأله : اين كبش المحرقة ؛ اجاب ابراهيم ابنه قائلاً : الله يرى له كبشاً للمحرقة (تك ٢٢ : ٧ – ٨). يريد ابراهيم ان ينجّي ابنه وفي الوقت عينه يريد ان يبقى اميناً لله .

انَّ طلبَ الله الى ابراهيم بالتضحية بابنه يتناقض مع الإلتزام بإعطاء ابراهيم نسلاً لا يُحصى من اسحق ومن الواضح ان طلب الله اليوم من إبراهيم يلغي وعد الأمس . إنّ ابراهيم متيقّن ان الله لن ينقض عهده ولكنّه يجهل التفاصيل لذلك سلّم لمشيئة الله . لم يعترض ابراهيم على طلب الله غير المعقول و لم يتردّد في تنفيذ احكام الله ، بل بكّر في الغد وأخذ وحيده وانطلق في مسيرة طويلة الى الجبل . يتعامل ابراهيم مع اله لا يمكن فهم تصرفاته ويطيع اوامره وينفّذها بدقة دون اعتراض وعليه ان يستمرّ في حياة الإيمان بالرغم من كل الصعاب .

هذه هي مخافة الله الحقيقية التي عاشها ابراهيم وقد اشار ملاك الرب الى هذه المخافة بقوله لإبراهيم : " لا تمدّ يدك الى الصبي ولا تفعل به شيئاً فاني الآن عرفت انك تخاف الله فلم تمسك عني ابنك وحيدك " (تك ٢٢ : ١٢) .

يتطابق الكاتب الملهم في تفكيره مع تعاليم انبياء مملكة الشمال الذين كانوا يشدّدون على ضرورة مخافة الله والطاعة لإحكامه وإقامة شعائر العبادة له حتى في اصعب المواقف واشدّها خطورة على مصير الشعب . لن يتخلّى الله عن مختاره وسيتدخّل في اللحظة الأخيرة لينجّي اسحق من الهلاك وهكذا سيفعل مع كل من يعيش مخافة الله على مثال ابراهيم .

يعطي تك ٢٢ درساً ادبياً فيعرض ابراهيم مثالاً لقارئيه : لقد برهن ابراهيم عن تقواه حين خضع بكليته للإرادة الإلهية فاثبت انه يخاف الله باستعداده للتضحية بوحيده. ان

رواية ذبيحة اسحق تعطي نوراً لفهم فكرة مخافة الله وهذه هي التقوى الحقيقية ؛ ان الديانة تقضي بالإعتراف بالسلطة الغامضة والمتطلّبة للّه دون مناقشة او اعتراض . يجب ان تكون العلاقة مع الله مبنية على ثقة لا حدّ لها فتتجلّى مخافة الله حسيّاً بالطاعة له فمهما حدث ومهما كان الثمن فإنّ ابراهيم هو ذاك النبي الذي ينفّذ اوامر الله .

٢ ـ المخافة فضيلة مشتركة بين الشعوب

لم تكن مخافة الله محصورة في الشعب الإسرائيلي وحسب ، بل عرفت الشعوب[٦] المجاورة مخافة الله ؛ اراد ابيمالك الملك الوثني ان يأخذ سارة زوجة له لأنه ظنّ انها اخت ابراهيم ، ولكنه حين علم انها متزوجة من ابراهيم امتنع عن فعلته وقد برّر ابراهيم تصرّفه قائلاً انه ظنّ ان مخافة الله هي غير موجودة في ارض النقب حيث يعيش ابيمالك (تك ٢٠ : ١١).

يقرّ هذا المقطع بشريعة مخافة الله التي يتفق عليها اناس يختلفون على مستوى الايمان وعلى مستوى الدين: عرف ابيمالك ان يسمع نداء الرب وان يطيعه بالرغم من انه يجهله. لقد أخطأ ابراهيم لأنه ظنّ ان مخافة الله هي غائبة عن الشعوب المجاورة. يعرف ابيمالك تماماً الشريعة التي تمنع الرجل ان يتزوج امرأة قريبه ولكنه جهل ان سارة متزوجة ؛ حين علم بحقيقة زواجها من ابراهيم امتنع من ان يأخذها زوجة له لأنه يعيش في مخافة الله .

ثالثاً : العهد بين الله وابراهيم

يشكّل موضوع العهد[٧] بين الله وابراهيم مركز الثقل في الفصلين ١٥ و ١٧ من سفر التكوين ؛ يتميّز هذا العهد عن سائر العهود التي قطعها الله مع الشعب الإسرائيلي عبر حقبات مختلفة من تاريخ الخلاص ، فيُعتبر عهد حوريب في سيناء (تث ٥ : ١ – ٥)

(٦) بولس الفغالي ، **البدايات او مسيرة الإنسان الى الله** ، (محطات كتابية ، ١١) ، الرابطة الكتابية، ١٩٩٨ ، ص ٤٨ .

(٧) R. MARTIN-ACHARD, *Actualité d'Abraham*, p. 84 - 93 .

اساس ديانة اسرائيل لأن الشعب تعلّم هناك متطلبات الحياة مع الله ؛ في عهد شكيم (يش ٢٤) تنظّم تجمّع القبائل التي اقامت في ارض كنعان وفي عهد الجلجال (١ صم ١٢) تمّ تنصيب شاول ملكاً وصار شعب اسرائيل دولة .

نلاحظ ان الكاتب الملهم يستعيض أحياناً عن عبارة عقد عهداً بكلمة منح **نتن** (تك ١٧ : ٢) او كلمة أقام **هقيم** (تك ١٧ : ٧ ، ١٩ ، ٢١) . لا يجري الحديث عن تبادل الهبات بل يمنح الله ابراهيم ونسله العهد وثماره بارادته المطلقة دون وجود ايّ استحقاق من ابراهيم . يتميّز العهد بين الله وابراهيم بانه أحادي الجانب ، علامته الختان وهو دائم وابدي . سنوضح هذه الخصائص الثلاث في العهد مع ابراهيم .

١ ـ العهد هو أحادي الجانب (unilatéral)

كل عهد يفترض وجود متعاقدَين او أكثر ليلتزما باحكامه ؛ تتحدّث بعض نصوص الشرق القديم عن العهود والعقود فتذكر انه يجب ذبح الحيوانات وتقسيمها الى اثنين ويجب وضع كل قسم من الضحية إزاء القسم الآخر بطريقة تسمح للمتعاقدَين (او المتعاقدِين) المرور بينهما وهذه علامة ان الفريقين يلتزمان بالعهد حتى الموت ؛ وهذا ما نجده ايضاً في قطع العهد الذي اشار اليه ارميا (رج ار ٣٤ : ١٨) .

على هذا الأساس استعدّ ابراهيم لقطع العهد مع الله (تك ١٥ : ٩ – ١٩) فحضّر الذبائح ولكنّ العهد بين الله وابراهيم يتميّز عن العقود الأخرى لأنه جرى ليلاً فالكاتب يشدّد على الظلام الذي ساد آنذاك ؛ سار تنّور دخان ومشعل نار بين اقسام الذبائح ، فخاف ابراهيم حين شاهد الحدث وكان دوره ثانوياً أثناء عقد العهد . تؤكّد هذه الإشارات ان ابراهيم لم يُجرِ اتصالاً مباشراً مع الله الذي لم يشاهده وجهاً لوجه حين قطع معه العهد ؛ يحترم الكاتب الملهم قداسة الله وتساميه وبعده عن الإنسان ولكنّ الله، في الوقت عينه ، يبقى قريباً من مختاره فهو يظهر له في الغمام او النار او الدخان او غيرها .

إنَّ مرور الله وحده في الدخان بين قسمي الذبائح وبقاء ابراهيم مأخوذاً من الخوف يعني ان الله وحده هو الذي يقطع العهد وهو ملتزم به حتى ولو لم يلتزم ابراهيم ؛ هذا العهد الأحادي الجانب يستند الى مبادرة حرة من الله الذي يكشف عن نعمته الفياضة

اساس ديانة اسرائيل لأن الشعب تعلّم هناك متطلبات الحياة مع الله ؛ في عهد شكيم (يش ٢٤) تنظّم تجمّع القبائل التي اقامت في ارض كنعان وفي عهد الجلجال (١ صم ١٢) تمّ تنصيب شاول ملكاً وصار شعب اسرائيل دولة .

نلاحظ ان الكاتب الملهم يستعيض أحياناً عن عبارة عقد عهداً بكلمة منح **نتن** (تك ١٧ : ٢) او كلمة أقام **هقيم** (تك ١٧ : ٧ ، ١٩ ، ٢١) . لا يجري الحديث عن تبادل الهبات بل يمنح الله ابراهيم ونسله العهد وثماره بارادته المطلقة دون وجود ايّ استحقاق من ابراهيم . يتميّز العهد بين الله وابراهيم بانه أحادي الجانب ، علامته الختان وهو دائم وابدي . سنوضح هذه الخصائص الثلاث في العهد مع ابراهيم .

١ ـ العهد هو أحادي الجانب (unilatéral)

كل عهد يفترض وجود متعاقدَين او أكثر ليلتزما باحكامه ؛ تتحدّث بعض نصوص الشرق القديم عن العهود والعقود فتذكر انه يجب ذبح الحيوانات وتقسيمها الى اثنين ويجب وضع كل قسم من الضحية إزاء القسم الآخر بطريقة تسمح للمتعاقدَين (او المتعاقدِين) المرور بينهما وهذه علامة ان الفريقين يلتزمان بالعهد حتى الموت ؛ وهذا ما نجده ايضاً في قطع العهد الذي اشار اليه ارميا (رج ار ٣٤ : ١٨) .

على هذا الأساس استعدّ ابراهيم لقطع العهد مع الله (تك ١٥ : ٩ – ١٩) فحضّر الذبائح ولكنّ العهد بين الله وابراهيم يتميّز عن العقود الأخرى لأنه جرى ليلاً فالكاتب يشدّد على الظلام الذي ساد آنذاك ؛ سار تنّور دخان ومشعل نار بين اقسام الذبائح ، فخاف ابراهيم حين شاهد الحدث وكان دوره ثانوياً أثناء عقد العهد . تؤكّد هذه الإشارات ان ابراهيم لم يُجرِ اتصالاً مباشراً مع الله الذي لم يشاهده وجهاً لوجه حين قطع معه العهد ؛ يحترم الكاتب الملهم قداسة الله وتساميه وبعده عن الإنسان ولكنّ الله، في الوقت عينه ، يبقى قريباً من مختاره فهو يظهر له في الغمام او النار او الدخان او غيرها .

إنّ مرور الله وحده في الدخان بين قسمي الذبائح وبقاء ابراهيم مأخوذاً من الخوف يعني ان الله وحده هو الذي يقطع العهد وهو ملتزم به حتى ولو لم يلتزم ابراهيم ؛ هذا العهد الأحادي الجانب يستند الى مبادرة حرة من الله الذي يكشف عن نعمته الفياضة

للإنسان . من الواضح ان هذا العهد لا يتضمّن عقداً بين شخصين بل هو يتوجّه الى ابراهيم ونسله .

٢ ـ الختان علامة العهد

يشدّد الكاتب الكهنوتي على الختان ويوضح انه علامة العهد مع ابراهيم (تك ١٧ : ٩ – ١٤ ؛ ٢٣ – ٢٧) ؛ مارس الساميون والمصريون الختان كما تشهد لذلك المدوّنات المصرية التي تعود الى القرن الثالث ق. م. ولا يبدو ان سكان بلاد ما بين النهرين عرفوا الختان ولا الفلسطينيون ؛ من المحتمل ان يكون العبرانيون قد مارسوا الختان عند دخولهم الى ارض كنعان .

تطوّر معنى الختان فكان في البداية بمثابة تنشئة ترتبط بالحياة الجنسية لذلك كان يُختن الولد في سن المراهقة . فيما بعد أخذ الختان معنىً دينياً فأضحى يعني الانتماء الى شعب الله . لمّا امتدّت الحضارة الهيلنستية في الشرق ترك جيران اسرائيل عادة الختان فاضحى الختان علامة مميّزة لليهودية .

طلب الله من ابراهيم ان يختتن هو وعائلته (تك ١٧ : ١٠ – ١١) فنفّذ ابراهيم اوامر الله واختتن وكان عمره آنذاك تسعاً وتسعين سنة (تك ١٧ : ٢٤). يعبّر الفصل ١٧ من سفر التكوين عن اهتمام الأوساط الكهنوتية ببناء اساس متين لوجود شعب الله الذي تشرّد بعد كارثة السبي عام ٥٨٧ ؛ يعرض الكاتب الكهنوتي نظرة منسّقة ومنظّمة للتاريخ انطلاقاً من كلمة " عهد " وهذا يعني ان العهد الذي قطعه الله لإبراهيم ونسله يضمن لهم المستقبل بارض الميعاد . ان جماعة المنفى التي تنفّذ تعليمات الكهنة ستعمل باحكام الشريعة ومتطلّباتها باحترام السبت والختان لتستطيع العودة الى اورشليم وعبادة الله هناك . ان الذي يريد ان يستفيد من البركة الممنوحة لإبراهيم عليه ان يختتن في حين ان الذي يهمل الختان يضحي خارج العهد وهذا يعني ان حفظ العهد يعني ممارسة الختان .

لم يعد العهد الذي قطعه الله مع موسى ضمانة كافية لجماعة المنفى ، لذلك عاد التقليد الكهنوتي الى الوراء ، الى العهد الذي قطعه الله مع ابراهيم لأن هذا العهد يستند الى إرادة الله الحرة وهذا العهد يبقى الضمانة الوحيدة والأمل الذي سيبني اسرائيل على اساسه وجوده في الأرض .

للإنسان . من الواضح ان هذا العهد لا يتضمّن عقداً بين شخصين بل هو يتوجّه الى ابراهيم ونسله .

٢ ـ الختان علامة العهد

يشدّد الكاتب الكهنوتي على الختان ويوضح انه علامة العهد مع ابراهيم (تك ١٧ : ٩ – ١٤ ؛ ٢٣ – ٢٧) ؛ مارس الساميون والمصريون الختان كما تشهد لذلك المدوّنات المصرية التي تعود الى القرن الثالث ق. م. ولا يبدو ان سكان بلاد ما بين النهرين عرفوا الختان ولا الفلسطينيون ؛ من المحتمل ان يكون العبرانيون قد مارسوا الختان عند دخولهم الى ارض كنعان .

تطوّر معنى الختان فكان في البداية بمثابة تنشئة ترتبط بالحياة الجنسية لذلك كان يُختن الولد في سن المراهقة . فيما بعد أخذ الختان معنىً دينياً فأضحى يعني الانتماء الى شعب الله . لمّا امتدّت الحضارة الهيلنستية في الشرق ترك جيران اسرائيل عادة الختان فاضحى الختان علامة مميّزة لليهودية .

طلب الله من ابراهيم ان يختتن هو وعائلته (تك ١٧ : ١٠ – ١١) فنفّذ ابراهيم اوامر الله واختتن وكان عمره آنذاك تسعاً وتسعين سنة (نك ١٧ : ٢٤). يعبّر الفصل ١٧ من سفر التكوين عن اهتمام الأوساط الكهنوتية ببناء اساس متين لوجود شعب الله الذي تشرّد بعد كارثة السبي عام ٥٨٧ ؛ يعرض الكاتب الكهنوتي نظرة منسّقة ومنظّمة للتاريخ انطلاقاً من كلمة " عهد " وهذا يعني ان العهد الذي قطعه الله لإبراهيم ونسله يضمن لهم المستقبل بارض الميعاد . ان جماعة المنفى التي تنفّذ تعليمات الكهنة ستعمل باحكام الشريعة ومتطلّباتها باحترام السبت والختان لتستطيع العودة الى اورشليم وعبادة الله هناك . ان الذي يريد ان يستفيد من البركة الممنوحة لإبراهيم عليه ان يختتن في حين ان الذي يهمل الختان يضحي خارج العهد وهذا يعني ان حفظ العهد يعني ممارسة الختان .

لم يعد العهد الذي قطعه الله مع موسى ضمانة كافية لجماعة المنفى ، لذلك عاد التقليد الكهنوتي الى الوراء ، الى العهد الذي قطعه الله مع ابراهيم لأن هذا العهد يستند الى إرادة الله الحرة وهذا العهد يبقى الضمانة الوحيدة والأمل الذي سيبني اسرائيل على اساسه وجوده في الأرض .

ان النعمة التي حصل عليها ابراهيم تسمح له بان يعطي لذريته امكانية التجدّد دوماً ؛ لم ينتهِ تاريخ شعب الله مع سقوط مملكة يهوذا بل هو سيتتابع لأنه يرتكز على الوعد بالحياة والأرض الذي قطعه الله مع ابراهيم .

٣ ـ العهد بين الله وابراهيم هو دائم

يريد الكاتب التشديد على الطابع الدائم والأبدي للعهد الذي قطعه الله مع ابراهيم فمن غير الممكن ابرام هذا العهد مرة أخرى .

ان استعمال كلمة ابدي عولم في الفصل ١٧ (١٧ : ٧ ، ٨ ، ١٣ ، ١٩) ليس من قبيل الصدفة ، بل هو دلالة على ديمومة العهد وثباته . لن يتراجع الله عن وعده وقسمه لإبرهيم وهذا الأخير لن يستطيع ان يلغي العهد في حال تراجع عن تنفيذ احكامه . ان تحقيق احكام العهد ليس مرتبطاً بالقدرات البشرية فإبراهيم كان عجوزاً حين منحه الله ابن الوعد اسحق وزوجته ساره كانت طاعنة في ايامها. ان ارادة الله وحدها تحقّق العهد بالرغم من قلّة مؤهلات ابراهيم وصغر حجم قدراته . من الواضح ان الكاتب الملهم يتوجّه برسالة تعزية الى جماعة المنفيين الى بابل ليحضّهم على الثبات في المحنة ؛ لا يملكون القدرات العسكرية لأنهم يعيشون في العبودية ولكنّ الله لن يتراجع عن عهده الأبدي الذي قطعه لإبراهيم وسينجّي حتماً المنفيين من الأسر ليعيدهم الى بلادهم .

خاتمة

استعرضنا بعض السمات التي تميّز ابراهيم التاريخي بعد ان دوّنت التقاليد المتأخرة سيرة حياته على ضوء اختباراتها وتطلّعاتها ؛ بقي ذكر ابراهيم المؤمن حيّاً في تاريخ ابناء الله واعترفت الديانات الموحّدة بابوته فمن الطبيعي ان تستنير حياتنا اليوم على ضوء علاقة ابراهيم بالله خالقه . ان تسليمه المطلق لإرادة الله بالرغم من الصعوبات التي اعترضته يحثّنا بدورنا على الثبات في المحن والتجارب فالله يتدخّل في النهاية ليخلّص مختاره لأن الله ثابت على عهده . غير انه من الواجب علينا ان نحيا في مخافة الله على مثال ابراهيم لنكون قريبين من الله الخالق الذي احبنا . ان وعد الله يجعل مستقبلنا نحن المختارين تحت سقف البركة وهذا الوعد يدعونا لنسير في الرجاء والانصياع لأوامر الله واحكامه بإيمان راسخ وتسليم لمشيئة الله .

الخوري نعمة الله الخوري